

## طبيعة النظام الاشتراكي

إذا كانت الرأسمالية ، كما رأينا ، تجد في توجيه الاقتصاد فوائد جمة تجنيها في العديد من المجالات ، وإذا كان الاستغلال الطبقي المصوب بالقهر هو الأساس الذي تقوم عليه الرأسمالية في الداخل ، فإن استغلال الشعوب الأخرى وأخضاعها عن طريق القوة والتدخل والحروب بغية استغلالها ونهب ثرواتها ، هو امتداد خارجي للصالة الداخلية ، وكلاهما يعبران عن طبيعة رأس المال . وعلى النقيض من ذلك يقوم الاقتصاد الاشتراكي الذي يهدف سد الحاجات القصوى المادية والروحية للناس .

في إحدى مراحل تطور الرأسمالية ، وعند بلوغ التناقض أشده بين العمل ورأس المال ، وتوفر ظروف موضوعية وذاتية في بلد معين ، تغلب الطبقة العاملة النظام الرأسمالي وتبني مجتمعا الجديد الحالي من كل أشكال استغلال الإنسان لآخيه الإنسان .

والطبيعة الاشتراكية للنظام الجديد ، تتنافى ، كالتقيض ، مع أهداف وطبيعة النظام الرأسمالي وممارساته . فهي سعيها منها وراء تحقيق مثالها الاقتصادي « سد حاجات الناس القصوى المتنامية » ، تسعى إلى خلق وفرة في الإنتاج المادي والروحي عن طريق تخطيط مبرمج . وتسمى في الوقت نفسه إلى خلق إنسان جديد يتخذ موقفا مغايرا من العمل ويعتبر استغلال الإنسان عارا بشريسا وبعيدا عن الكرامة الإنسانية .

ومن المفيد التذكير أن هذا الموقف الذي يتخذه الإنسان في النظام الاشتراكي ليس مرده في الأساس النوازع العاطفية بل طبيعة النظام الذي أوجدت هذه العواطف . وما ينطبق عليه ينطبق أيضا على الرأسمال ونوعية عواطفه . فليس بالضرورة أن يكون الرأسمالي شريرا بالفطرة ، ولكن طبيعة رأس المال في دورته الشهيرة ، تطبع الرأسمالي بكل صفات رأس المال الذي « يدوس على جميع الشرائع الإنسانية ويقدم على ارتكاب أية جريمة حتى ولو تعرض لحبل المشنقة » .

إن طبيعة الاشتراكية الخالية من الاستغلال الطبقي في الداخل تشترط خلوها — بالنتيجة — من الاستغلال والقهر في الخارج . وشعار الاشتراكية في خلق وفرة إنتاج مادية وثقافية لسد حاجات الناس المتنامية تفترض تلقائيا نبذ الإنتاج العسكري باعتباره هدرا لا يسد حاجة بشرية . واضطرار الاشتراكية اتباع هذا النمط من الإنتاج مرده حماية مكاسب النظام الاشتراكي أمام تطاولات الرأسماليين . فإذا كان التوجه للانتاج العسكري فيه انعاش للاقتصاد الرأسمالي في فترات معينة ، فإن مثل هذا الانفاق في النظام الاشتراكي يسبب عرقلة ويوقع أضرارا بالغة في الاقتصاد ، واللجوء إليه — اضطرارا — ليس سوى من قبيل الضريبة الفادحة التي لا بد منها في ظل التطويق الرأسمالي وخطئه الرامية لسحق الاشتراكية وحركات التحرر في العالم .

إن النظام الاشتراكي القائم على السلم الداخلي بعد أن انتفى فيه صراع الطبقات اثر سقوط طبقة الرأسماليين وكبار الملاكين المستقلة ، يحتاج إلى سلم خارجي كشرط من شروط تطوره وازدهاره . وهو إذ تحده الأمل بالانتقال إلى النظام الشيوعي حيث وفرة الإنتاج التي لا سابق لها في تاريخ البشرية ، وحيث تتحقق فيه شخصية الإنسان — أثنى رأسمال في الوجود — على أتم وجه ، فإنه يحرص على كل ما من شأنه توفير الجو الملائم لهذا التطور .

ليس من مصلحة النظام الاشتراكي في الحروب العدوانية التي تستهدف فتح أسواق